العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة (٢٤)

الفتنة في نهج البلاغة

إعداد: مكتبة الروضة الحيدرية

العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة ـ ٢٤

الفتنة
في نهج البلاغة

إعداد
مكتبة الروضة الحيدرية

الفتنة في نهج البلاغة

■ الناشر: العتبة العلوية المقدسة

■ إعداد: مكتبة الروضة الحيدرية

■ إخراج فني : زينب جواد

■ عدد النسخ: ١٠٠٠نسخة

■ السنة : ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

العتبة العلوية المقدسة، العراق . النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٢٣٣٧٢٧٧ (٠٠٩٦٤)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الالكتروني :

info@haydarya.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

الإنسان محفوف في هذه الدنيا بأنواع الفتن في مجال سلوكه الفردي والاجتماعي، فالفقر والغنى فتنة: ﴿**فَإِذا مَسَّ الإِنْسانَ ضُرٌّ دَعانا ثُمَّ إِذا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنَّا قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ**﴾ [الزمر: ٤٩].

الأموال والأولاد فتنة: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

الشيطان فتنة: ﴿**لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ**﴾ [الحج: ٥٣].

المتشابهات فتنة: ﴿**فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ**﴾ [آل عمران: ٧].

وهذه الفتن بأنواعها المختلفة لا تخصّ فئة دون فئة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**﴾ [الأنفال: ٢٥]، فتمسّ الظالم والعادل، كما انّ بعض أنواعها أشدّ من الذنوب الكبيرة كالقتل، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**﴾ [البقرة: ١٩١].

وهي أيضاً خير ميزان لمعرفة المؤمن من المنافق كما في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلى حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ**

أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةَ﴾ [الحج: ١١]، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فهي ميزان الناجين من الهالكين، كما ورد في قوله تعالى نقلاً عن المنافقين لما ينادون المؤمنين: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قالُوا بَلى وَلكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ **أَنْفُسَكُمْ﴾** [الحديد: ١٤]، فالمفتتن يهلك وغير المفتتن ينجو.

ولأهمية مسألة الفتنة، ولأنّها السبب في مزلّة الأقدام في كل زمان وأوان، ارتأينا دراستها من زاوية كتاب نهج البلاغة ضمن مشروع «سلسلة في رحاب نهج البلاغة» لنقف على معالمها وأنواعها وأسبابها وطرق التخلّص منها، كلها عن لسان أميرالمؤمنين عليه السلام الذي فقأ عين الفتنة، وذلك ضمن النقاط التالية:

ـ ١ ـ

التوجّس والخوف من الفتنة

بما انّ الفتنة لا تنتج سوى الدمار والضلال وطمس معالم الدين ـ كما سيوافيك بيانه ـ كان الصلحاء بل الأنبياء والأئمّة عليهم السلام يتوجسون منها ويحزنون من وقوعها، لما فيها من ضرر على الفرد وعلى المجتمع، ولما تخلّف من سلبيات كثيرة لم يمكن إصلاحها إلّا بعد مدّة مديدة وصرف جهود كبيرة.

وبهذا الصدد يشير أميرالمؤمنين عليه السلام إلى كليم الله موسى عليه السلام ويقول: «**لم يوجس موسى خيفة على نفسه، أشفق من غلبة الجهّال ودول الضلال**» [الخطبة: ٤].

وكما قال عليه السلام عن فتنة بني أمية: «**ألا وانّ أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنّها فتنة عمياء مظلمة، عمّت خطتها وخصت بليتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها وأخطأ البلاء من عمي عنها**» [الخطبة: ٩٢].

كما انّ الإمام السجاد عليه السلام كان متوجساً ومحزوناً من فتنة ابن الزبير، وذلك كما روى الكليني عن أبي حمزة الثمالي انّ الإمام السجاد عليه السلام قال: «خرجت حتى انتهيت إلى هذا الحائط، فاتكأت عليه فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان ينظر في وجهي، ثم قال: يا علي بن الحسين

مالي أراك كئيباً حزيناً؟ أعلى الدنيا فرزق الله حاضر للبر والفاجر، قلت: ما على هذا أحزن وانّه لكما تقول، قال: فعلى الآخرة فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر، قلت: ما على هذا أحزن وانّه لكما تقول، فقال: مم حزنك؟ قلت: [ممّا] نتخوّف من فتنة ابن الزبير وما فيه الناس...[1].

(١) الكافي للكليني ٢: ٦٣ ح٢.

أسباب الفتن

الفتنة لا تصدر من فراغ ولها أسباب وعلل متنوعة، وفيما يلي نشير إلى أهم تلك الأسباب كما وردت على لسان أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة:

أ ـ حب الدنيا، فالإنسان الذي أصيب بهذا الداء تراه يسرع إلى الفتنة، وكشاهد على هذا يذكر أميرالمؤمنين عليه السلام حال البغاة ويشير إلى انّ سبب افتتانهم كان حب الدنيا، قال عليه السلام: «**فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وفسق آخرون كأنّهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها**» [الخطبة: ٣].

وقال عليه السلام في صفة المفتتين: «**يتنافسون في دنيا دنية، ويتكالبون على جيفة مريحة**» [الخطبة: ١٥١].

وفي كتابه عليه السلام إلى شريح بن هانئ: «**واعلم أنّك إن لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهه، سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر**» [الكتاب: ٥٦].

ب ـ الهوى والبدع، قال عليه السلام: « إنّما بدء وقوع الفتن أهواءٌ تتّبع،

وأحكامٌ تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولّى عليها رجالٌ رجالاً، على غير دين الله، فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الـحقّ لم يخف على الـمرتادين؛ ولو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن الـمعاندين; ولكن يؤخذ من هذا ضغثٌ، ومن هذا ضغثٌ، فيمزجان فهنالك يستولي الشّيطان على أوليائه، وينجو الّذين سبقت لـهم من الله الـحسنى» [الخطبة: ٥٠].

ولخطوره متابعة الهوى في وقوع الإنسان في الفتن كان أميرالمؤمنين عليه السلام يحذّر منه كثيراً ويقول: «**انّ أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل**» [الخطبة: ٢٨].

كما انّ البدع أيضاً من أهم أسباب الافتتان، قال عليه السلام في تبيين أبغض الخلائق الله تعالى: «رجل وكله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل، مشعوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به» [الخطبة: ١٧].

وقال عليه السلام أيضاً: «**قد خاضوا بحار الفتن، وأخذوا بالبدع دون السنن**» [الخطبة: ١٥٤].

ج ـ الغفلة، وهي عامل مساعد للوقوع في الفتنة سواء الفردية أو الاجتماعية، إذ انّ الغافل يفتتن في سلوكه الفردي بالدنيا والشيطان وغيرهما، وفي السلوك الاجتماعي يفتتن بالأحزاب والتيارات المنحرفة، والعاقد الباطلة.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام وهو يشير إلى كلا الحالتين: «ألا وانّي لم أر كالجنّة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها، ألا وانّه من لم ينفعه الحق يضرره الباطل، ومن لا يستقم به الهدى يجرّ به الضلال إلى الردى» [الخطبة: ٢٨]، فيشير في صدر كلامه إلى الغفلة الفردية، وفي ذيله إلى الاجتماعية.

ويقول عليه السلام في مكان آخر: «**ولكنكم نسيتم ما ذُكّرتم، وأمنتم ما حُذّرتم، فتاه عنكم رأيكم، وتشتت عليكم أمركم**» [الخطبة: ١١٥]. وكتب إلى الحارث الهمداني يحذّره منها قائلاً: «**واحذر منازل الغفلة والجفاء**» [الكتاب: ٦٩]، كما يدعو عليه السلام ويقول: «**ونحن نستقيل الله عثرة الغفلة**» [قصار الحكم: ٣٦١].

د ـ سبات العقل، وهو ناشئ من الغفلة أيضاً، وذلك لأنّه «**لا يغش العقل من استنصحه**» [قصار الحكم: ٢٧٢]، لأنّه من أهم أسباب ردع الهوى كما قال عليه السلام: «قاتل هواك بعقلك» [قصار الحكم: ٤١٢]، وإلّا سوف يستحوذ الهوى على العقل كما قال عليه السلام: «**كم من عقل أسير تحت هوى أمير**» [قصار الحكم: ٢٠١]، وقال عليه السلام في نصيحته لشريح القاضي: «**شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى**» [الكتاب: ٣].

ولذا كان أميرالمؤمنين عليه السلام يستعيذ من سبات العقل ويقول: «**نعوذ بالله من سبات العقل**» [الخطبة: ٢٢٣]، وذلك لأنّ سبات العقل من أهم أسباب متابعة الهوى والوقوع في الفتن.

هـ ـ الجهل، قال أميرالمؤمنين عليه السلام عند ذكر أبغض الخلائق إلى الله تعالى: «**ورجل قمش جهلاً، موضع في جهال الأمة، غار في أغباش[1] الفتنة**» [الخطبة: ١٧]، وقال عليه السلام: «**عباد الله لاتركنوا إلى جهالتكم**» [الخطبة: ١٠٤]، وقال عليه السلام: «**من كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق**» [قصار الحكم: ٢٧]، وقال عليه السلام في صفة المفتتنين بمعاوية: «وأقرب بقوم من الجهل بالله قائدهم معاوية ومؤدّبهم ابن النابغة» [الخطبة: ١٨٠].

و ـ ترك الحجج الإلهية، وذلك انّ من أهم أسباب الوقوع في الفتنة عدم الاستماع إلى القادة الهداة الذين جعلهم الله امناء على دينه وحججاً على عباده، بهم ينير الطريق، ولو راجعنا التاريخ ودرسنا خلفيات الفتن، لرأينا انّ عدم الاستماع إلى الحجج الإلهية هو السبب الرئيسي في اقتحام الفتن والوقوع في التيه والضلال، كما قال عليه السلام للمسلمين آنذاك: «**ولعمري ليضعفنّ لكم التيه من بعدي أضعافاً بما خلفتم الحق وراء ظهوركم**» [الخطبة: ١٦٦].

ولما نرجع إلى فتنة الخوارج، نرى انّ من أهم أسباب وقوعهم في فخ معاوية وفتنته، عدم الاستماع إلى أميرالمؤمنين عليه السلام كما قال: «**وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأيي**»

---

(١) غار: غافل: والأغباش: الظلمة.

[الخطبة: ٣٥]، وقال عليه السلام: «**وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة، فأبيتم عليّ إباء المخالفين المنابذين**» [الخطبة: ٣٦].

ز ـ وأخيراً فهناك مجموعة من الأعمال الفردية ربما تسبب في الافتتان الفردي أو الاجتماعي إذا تطوّرت، من قبيل الجلوس في الأسواق من دون هدف كما قال عليه السلام: «**إياك ومقاعد الأسواق، فإنّها محاضر الشيطان ومعاريض الفتن**» [الكتاب: ٦٩]، ومن قبيل مدح الناس كما قال عليه السلام: «**رب مفتون بحسن القول فيه**» [قصار الحكم: ٤٥٠].

-٣-

صفة الفتنة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**انّ الفتن إذا أقبلت شبّهت، وإذا أدبرت نبّهت، ينكرن مقبلات، ويُعرفن مدبرات، يحمن حوم الرياح، يصبن بلداً ويخطئن بلداً**» [الخطبة: ٩٢].

وقال عليه السلام: «**فتن كقطع الليل المظلم، لا تقوم لها قائمة، ولا تُردّ لها راية، تأتيكم مزمومة مرحولة، يحفزها قائدها، ويجهدها راكبها**» [الخطبة: ١٠١].

وقال عليه السلام عن الفتنة: «**تبدأ في مدارج خفية، وتؤول إلى فظاعة جلية، شبابها كشباب الغلام، وآثارها كآثار السلام، يتوارثها الظلمة بالعهود، أوّلهم قائد لآخرهم، وآخرهم مقتد بأوّلهم، يتنافسون في دنيا دنية، ويتكالبون على جيفة مريحة**» [الخطبة: ١٥١].

- ٤ -

معطيات الفتنة

انّ المعطيات التي تنتجها الفتنة لكثيرة، سواء المعطيات المباشرة أو الغير مباشرة، وذلك حيث انّها لا تنتج سوى الفرقة والاختلاف، وطمس معالم الهدى، والضلال والإنحراف، وانقلاب المفاهيم وغيرها من المفاسد الكثيرة.

وقد أشار أميرالمؤمنين عليه السلام إلى مجموعة من هذه المعطيات، وقال عليه السلام وهو يشير إلى فترة بعثة النبي صلى الله عليه وآله: «**أرسله بالدين المشهور... والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين، وتزعزعت سواري[1] اليقين، واختلف النجر[2]، وتشتّت الأمر، وضاق المخرج، وعمي المصدر، فالهدى خامل، والعمى شامل، عصي الرحمن، ونصر الشيطان، وخذل الإيمان فانهارت دعائمه وتنكّرت معالمه، ودرست سبله، وعفت شركه. أطاعوا الشّيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله، بهم سارت أعلامه، وقام لواؤه، في فتنٍ داستهم بأخفافها، ووطئتهم بأظلافها، وقامت على سنابكها، فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون، في خير دارٍ، وشرّ جيرانٍ، نومهم سهودٌ، وكحلهم دموعٌ، بأرضٍ عالمها ملجمٌ،**

---

(١) السواري: جمع سارية، وهي الدعامة التي يدعم بها السقف.

(٢) النجر: الطبع والأصل.

وجاهلها مكرمٌ» [الخطبة: ٢].

وقال عليه السلام: «**والذي بعثه بالحق لتبلبلنّ بلبلة، ولتغربلنّ غربلة، ولتساطنّ سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم، وليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا، وليقصّرنّ سبّاقون كانوا سبقوا**» [الخطبة: ١٦].

وقال عليه السلام: «**أيها الناس انّا قد أصبحنا في دهر عنود وزمن شديد، يُعدّ فيه المحسن مسيئاً، ويزداد الظالم فيه عتوّاً، لا ننتفع بما علمنا، ولا نسأل عمّا جهلنا، ولا نتخوّف قارعة حتى تحلّ بنا**» [الخطبة: ٣٢].

وقال عليه السلام: «**ولقد أصبحنا في زمان اتخذ أكثر أهله الغدر كَيْساً، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة**» [الخطبة: ٤١].

وقال عليه السلام: «**فيا عجباً ومالي لا أعجب من خطإ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها! لا يقتصّون أثر نبيٍّ، ولايقتدون بعمل وصيٍّ، ولا يؤمنون بغيبٍ، ولا يعفّون عن عيبٍ، يعملون في الشّبهات، ويسيرون في الشّهوات، المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم في المبهمات على آرائهم، كأنّ كلّ امرىءٍ منهم إمام نفسه، قد أخذ منها فيما يرى بعرًى ثقاتٍ، وأسبابٍ محكماتٍ**» [الخطبة: ٨٧].

وقال عليه السلام: «**فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه وركب الجهل مراكبه، وعظمت الطّاغية، وقلّت الدّاعية، وصال الدّهر صيال السّبع**

العقور، وهدر فنيق الباطل بعد كظوم، وتواخى النّاس على الفجور، وتهاجروا على الدّين، وتحابّوا على الكذب، وتباغضوا على الصّدق.

فإذا كان ذلك كان الولد غيظاً، والـمطر قيظاً، وتفيض اللّئام فيضاً، وتغيض الكرام غيضاً، وكان أهل ذلك الزّمان ذئاباً، وسلاطينه سباعاً، وأوساطه أكّالاً، وفقراؤه أمواتاً، وغار الصّدق، وفاض الكذب، واستعملت الـمودّة باللّسان، وتشاجر النّاس بالقلوب، وصار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً، ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوباً» [الخطبة: ١٠٧].

وقال عليه السلام: **«وقد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلّا إدباراً، والشّر إلّا إقبالاً، والشيطان في هلاك الناس إلّا طمعاً، فهذا أوان قويت عدّته، وعمّت مكيدته، وأمكنت فريسته»** [الخطبة: ١٢٩].

وقال عليه السلام: **«ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف، والقاصمة الزحوف، فتزيغ قلوب بعد استقامة وتضلّ رجال بعد سلامة، وتختلف الأهواء عند هجومها، وتلتبس الآراء عند نجومها، من أشرف لها قصمته، ومن سعى فيها حطمته، يتكادمون فيها تكادم الـحمر في العانة! قد اضطرب معقود الـحبل، وعمي وجه الأمر، تغيض فيها الحكمة، وتنطق فيها الظّلمة، وتدقّ أهل البدو بمسحلها[1]، وترضّهم**

---

(١) المسحل: المبرد

بكلكلها! يضيع في غبارها الوحدان، ويهلك في طريقها الرّكبان، ترد بمرّ القضاء، وتحلب عبيط الدّماء، وتثلم منار الدّين، وتنقض عقد اليقين، يهرب منها الأكياس، ويدبّرها الأرجاس، مرعادٌ مبراقٌ، كاشفةٌ عن ساقٍ، تقطع فيها الأرحام، ويفارق عليها الإسلام؛ بريئها سقيمٌ، وظاعنها مقيمٌ» [الخطبة: ١٥١].

وقال عليه السلام نقلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا علي انّ القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنّون بدينهم على ربّهم، ويتمنّون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلّون حرامه بالشّبهات الكاذبة، والأهواء السّاهية، فيستحلّون الخمر بالنّبيذ، والسّحت بالهديّة، والرّبا بالبيع**»، قلت: يا رسول الله، فبأيّ المنازل أنزلهم عند ذلك؟ أبمنزلة ردّةٍ، أم بمنزلة فتنةٍ؟ فقال: «**بمنزلة فتنةٍ**» [الخطبة: ١٥٦].

وفي كلام له عليه السلام لعثمان ينصحه ويخبره عن الفتن التي ستكون: «**ويبثّ الفتن فيها، فلا يبصرون الحق من الباطل، يموجون فيها موجاً، ويمرجون فيها مرجاً**» [الخطبة: ١٦٤].

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية: «**فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها، فإنّ الفتنة طالما أغدقت جلابيبها، وأعشت الأبصار ظلمتها**» [الكتاب: ٦٥].

ـ ٥ ـ

أنواع الفتن

الفتن المحدقة بالإنسان متنوعة بعضها تخصّ الجانب الفردي، وبعضها الآخر تخص الجانب الاجتماعي، وقد وردت الإشارة إلى جملة منها في نهج البلاغة وهي كما يلي:

الافتتان بالشبهات، وقد يقع فيها كثير من الناس لمشابهتها الحق، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وإنّما سمّيت الشبهة شبهة لأنّها تشبه الحق، فأمّا أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين، ودليلهم سمت الهدى، وأما أعداء الله فدعاؤهم الضلال، ودليلهم العمى**» [الخطبة: ٣٨].

كما انّ أمير المؤمنين عليه السلام حذّر معاوية منها قائلاً: «**فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها، فإنّ الفتنة طالما أغدقت جلابيبها**[1]**، وأعشت الأبصار ظلمتها**» [الكتاب ٦٥]، وقال عليه السلام لعمار لما سمعه يراجع المغيرة في كلام: «**دعه يا عمار فإنّه لم يأخذ من الدين إلّا ما قاربته الدنيا، وعلى عمد لبّس على نفسه ليجعل الشبهات عاذراً لسقطاته**» [قصار الحكم: ٣٩٤].

ومنها الافتنان بعلماء السوء، فقد قال عليه السلام في وصف أبغض الخلائق إلى الله تعالى: «**ورجل قمش جهلاً، موضع في جهال الأمة، غارٌّ**

---

(١) أغدقت: أرسلت، والجلابيب: جمع جلباب وهوالثوب الأعلى يغطي ما تحته.

في أغباش الفتنة، عمٍ بما في عقد الهدنة، قد سمّاه أشباه النّاس عالماً؛ وليس به. بكّر فاستكثر من جمعٍ، ما قلّ منه خيرٌ ممّا كثر، حتّى إذا ارتوى من آجنٍ، وأكثر من غير طائلٍ، جلس بين النّاس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره. فإن نزلت به إحدى المبهمات هيّأ لها حشواً رثّاً من رأيه، ثمّ قطع به، فهو من لبس الشّبهات في مثل نسج العنكبوت: لايدري أصاب أم أخطأ، إن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب. جاهلٌ خبّاط جهلاتٍ، عاشٍ ركّاب عشواتٍ، لم يعضّ على العلم بضرسٍ قاطعٍ، يذري الرّوايات إذراء الرّيح الهشيم، لا مليءٌ والله بإصدار ما ورد عليه [ولا هو أهلٌ لما فوّض إليه]، لا يحسب العلم في شيءٍ ممّا أنكره، ولا يرى أنّ من وراء ما بلغ منه مذهباً لغيره، وإن أظلم عليه أمرٌ اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه، تصرخ من جور قضائه الدّماء، وتعجّ منه المواريث.

إلى الله [أشكو] من معشرٍ يعيشون جهّالاً، ويموتون ضلّالاً؛ ليس فيهم سلعةٌ أبور من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته، ولا سلعةٌ أنفق بيعاً ولا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه، ولا عندهم أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر» [الخطبة: ١٧].

وقال عليه السلام: «وآخر قد تسمّى عالماً وليس به، فاقتبس جهائل من جهّالٍ وأضاليل من ضلّالٍ، ونصب للنّاس أشراكاً من حبال غرورٍ، وقول زورٍ، قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحقّ على أهوائه،

يؤمّن من العظائم، ويهوّن كبير الـجرائم، يقول: أقف عند الشّبهات وفيها وقع، ويقول: أعتزل البدع وبينها اضطجع، فالصّورة صورة إنسانٍ، والقلب قلب حيوانٍ، لا يعرف باب الـهدى فيتّبعه، ولا باب العمى فيصدّ عنه، فذلك ميّت الأحياء» [الخطبة: ٨٦].

ومنها الافتتان بدعاة الضلال، قال عليه السلام في وصف أبغض الخلائق إلى الله تعالى: «**رجل وكله الله إلى نفسه، فهو جائر عن قصد السبيل، مشعوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدى من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته، حمال خطايا غيره، رهن بخطيئته**» [الخطبة: ١٧].

وقال عليه السلام في وصف أهل الشام: «**وأقرب بقوم من الجهل بالله قائدهم معاوية، ومؤدّبهم ابن النابغة**» [الخطبة: ١٨٠].

ومنها الافتتان بأهل النفاق، قال عليه السلام: «**أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحذّركم أهل النّفاق، فإنّهم الضّالّون الـمضلّون، والزّالّون الـمزلّون، يتلوّنون ألواناً، ويفتنّون افتناناً، ويعمدونكم بكلّ عمادٍ، ويرصدونكم بكلّ مرصادٍ.**

قلوبهم دويّةٌ، وصفاحهم نقيّةٌ، يمشون الـخفاء، ويدبّون الضّراء. وصفهم دواءٌ، وقولـهم شفاءٌ، وفعلهم الدّاء العياء، حسدة الرّخاء، ومؤكّدوا البلاء، ومقنطوا الرّجاء.

لـهم بكلّ طريقٍ صريعٌ، وإلى كلّ قلبٍ شفيعٌ، ولكلّ شجوٍ دموعٌ، يتقارضون الثّناء، ويتراقبون الـجزاء، إن سألوا ألـحفوا، وإن عذلوا كشفوا، وإن حكموا أسرفوا. قد أعدّوا لكلّ حقٍّ باطلاً، ولكلّ قائمٍ مائلاً، ولكلّ حيٍّ قاتلاً، ولكلّ بابٍ مفتاحاً، ولكلّ ليلٍ مصباحاً، يتوصّلون إلى الطّمع باليأس ليقيموا به أسواقهم، وينفّقوا به أعلاقهم. يقولون فيشبّهون، ويصفون فيموّهون، قد هيّأوا الطّريق، وأضلعوا الـمضيق، فهم لـمة الشّيطان، وحمة النّيران ﴿أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾» [الخطبة: ١٩٤].

وقال عليه السلام لما سئل عن أحاديث البدع وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر: «ورجل منافق مظهر للإيمان، متصنّع بالإسلام لايتأثّم ولا يتحرّج، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّداً، فلو علم النّاس أنّه منافقٌ كاذبٌ لم يقبلوا منه، ولم يصدّقوا قوله، ولكنّهم قالوا: صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله رآه، وسمع منه، ولقف عنه، فيأخذون بقوله، وقد أخبرك الله عن الـمنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك، ثمّ بقوا بعده، فتقرّبوا إلى أئمّة الضّلالة، والدّعاة إلى النّار بالزّور والبهتان، فولّوهم الأعمال، وجعلوهم على رقاب النّاس، وأكلوا بهم الدّنيا، وإنّما النّاس مع الـملوك والدّنيا، إلّا من عصم الله» [الخطبة: ٢١٠].

وقال عليه السلام نقلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني لا أخاف على أمّتي مؤمناً ولا مشركاً، أمّا المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأمّا المشرك فيقمعه الله

بشركه، ولكنّي أخاف كل منافق الجنان، عالم اللسان، يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون» [الكتاب: ٢٧].

ومنها الافتتان بالدنيا، قال عليه السلام في وصف الدنيا: «**وهي حلوة خضرة، قد عُجّلت للطالب، والتبست بقلب الناظر**» [الخطبة: ٤٥]، وقال عليه السلام أيضاً: «**ألا وانّ الدنيا دار لا يسلم منها إلّا فيها، ولا يُنجى بشيء كان لها، ابتلى الناس بها فتنة، فما أخذوه منها لها أخرجوا منه وحوسبوا عليه، وما أخذوه منها لغيرها قدموا عليه وأقاموا فيه، فإنّها عند ذوي العقول كفيء الظل، بينا تراه سابغاً حتى قلص وزائداً حتى نقص**» [الخطبة: ٦٢].

وقال عليه السلام: «**ما أصف من دار أوّلها عناء وآخرها فناء، في حلالها حساب وفي حرامها عقاب، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها فاتته، ومن قعد عنها واتته، ومن أبصر بها بصّرته، ومن أبصر إليها أعمته**» [الخطبة: ٨١].

وقال عليه السلام في وصف المفتتن بالدنيا: «**حتى إذا قام اعتداله، واستوى مثاله، نفر مستكبراً، وخبط سادراً، ماتحاً في غرب هواه، كادحاً سعياً لدنياه، في لذّات طربه، وبدوات أربه، لا يحتسب رزيّة، ولا يخشع تقية، فمات في فتنته غريراً، وعاش في هفوته أسيراً**» [الخطبة: ٨٢].

وقال عليه السلام: «**ازدحموا على الحطام، وتشاحّوا على الحرام، ورفع لهم علم الجنة والنار، فصرفوا عن الجنّة وجوههم، وأقبلوا إلى النار**

بأعمالهم، دعاهم ربهم فنفروا وولّوا، ودعاهم الشيطان فاستجابوا وأقبلوا» [الخطبة: ١٤٤].

وقال عليه السلام أيضاً في وصف المفتتن بالدنيا: «**سلكت بهم الدنيا طريق العمى، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى، فتاهوا في حيرتها، وغرقوا في نعمتها، واتخذوها رباً، فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها**» [الكتاب: ٣١].

ومنها الافتتان بالفقر والغنى، قال عليه السلام: «**أما بعد فإنّ الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كلّ نفس بما قسم لها من زيادة أو نقصان، فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة في أهل أو مال أو نفس فلا تكون له فتنة**» [الخطبة: ٢٣].

وقال عليه السلام: «**وقدّر الأرزاق فكثّرها وقلّلها وقسّمها على الضيق والسعة، فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها، وليخبر بذلك الشكر والصبر من غنيّها وفقيرها**» [الخطبة: ٩٠].

وقال عليه السلام: «**قد اختبرهم الله بالمخمصة، وابتلاهم بالمجهدة، وامتحنهم بالمخاوف، ومخضهم بالمكاره، فلا تعتبروا الرّضا والسّخط بالمال والولد جهلاً بمواقع الفتنة، والإختبار في مواضع الغنى والافتقار، فقد قال سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَبَنِينَ* نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ﴾، فإنّ الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم**»

[الخطبة: ١٩٢].

وقال عليه السلام: «**أيها الناس ليركم الله من النعمة وجلين كما يراكم من النقمة فرقين، انّه من وُسّع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجاً فقد أمن مخوفاً، ومن ضُيّق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختباراً فقد ضيّع مأمولاً**» [قصار الحكم: ٣٤٨].

ومنها الافتتان بالشيطان، فانّه يدأب في صدّ الناس عن الله تعالى، قال عليه السلام: «**واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتم عن عبادته**» [الخطبة: ١]، ولذا أرسل الرسل لهداية الناس.

وقال عليه السلام في وصف المفتتن بالشيطان: «**اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتخذهم له أشراكاً، فباض وفرّخ في صدورهم، ودبّ ودرج في حجورهم، فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزلل، وزيّن لهم الخطل**» [الخطبة: ٧].

وقال عليه السلام: «**انّ الشيطان يُسنّي [أي يسهّل] لكم طرقه، ويريد أن يحلّ دينكم عقدة عقدة، ويعطيكم بالجماعة الفرقة، وبالفرقة الفتنة**» [الخطبة: ١٢٠].

وقال عليه السلام لما مرّ بالخوارج وهم قتلى: «**بؤساً لكم لقد ضرّكم من غرّكم، فقيل له: من غرّهم يا أميرالمؤمنين؟ فقال: الشيطان المضلّ، والأنفس الأمّارة بالسوء، غرتهم بالأماني وفسحت لهم في المعاصي،**

ووعدتهم الاظهار فاقتحمت بهم النار» [قصار الحكم: ٣١٤].

ومنها الابتلاء بالزمان الذي تكثر فيه الفتن، وعلى سبيل المثال فترة ما قبل البعثة كما قال عنها أميرالمؤمنين عليه السلام: «**بعثه والناس ضُلّال في حيرة، وحاطبون في فتنة، قد استهوتهم الأهواء، واستزلّتهم الكبرياء، واستخفّتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزال من الأمر، وبلاء من الجهل**» [الخطبة: ٩٤].

أو الزمان الذي حكم فيه أميرالمؤمنين عليه السلام كما قال قبيل بيعته: «**دعوني والتمسوا غيري، فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وانّ الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكّرت**» [الخطبة: ٩١].

أو الزمان الذي سيأتي كما قال عليه السلام: «**لكأنّي أنظر إلى ضلّيلٍ قد نعق بالشّام ، وفحص برایاته في ضواحي كوفان. فإذا فغرت فاغرته، واشتدّت شكيمته، وثقلت في الأرض وطأته، عضّت الفتنة أبناءها بأنيابها، وماجت الحرب بأمواجها، وبدا من الأيّام كلوحها، ومن اللّيالي كدوحها، فإذا ينع زرعه، وقام على ينعه، وهدرت شقاشقه، وبرقت بوارقه، عقدت رايات الفتن المعضلة، وأقبلن كاللّيل المظلم، والبحر الملتطم**» [الخطبة: ١٠٠].

وقال عليه السلام: «**فتن كقطع الليل المظلم، لا تقوم لها قائمة، ولا تُردّ لها راية، تأتيكم مزمومة مرحولة، يحفزها قائدها، ويجهدها راكبها،**

أهلها قوم شديد كلبهم، قليل سلبهم» [الخطبة: ١٠١].

وقال عليه السلام: **«أيها الناس سيأتي عليكم زمان يُكفأ فيه الإسلام كما يُكفأ الاناء بما فيه»** [الخطبة: ١٠٢].

وقال عليه السلام: **«وانّه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيءٌ أخفى من الـحقّ، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله؛ وليس عند أهل ذلك الزّمان سلعةٌ أبور من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرّف عن مواضعه، ولا في البلاد شيءٌ أنكر من الـمعروف، ولا أعرف من الـمنكر!**

فقد نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته; فالكتاب يومئذٍ وأهله منفيّان طريدان، وصاحبان مصطحبان في طريقٍ واحدٍ لا يؤويهما مؤوٍ; فالكتاب وأهله في ذلك الزّمان في النّاس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم! لانّ الضّلالة لا توافق الـهدى وإن اجتمعا، فاجتمع القوم على الفرقة، وافترقوا عن الـجماعة، كأنّهم أئمّة الكتاب وليس الكتاب إمامهم، فلم يبق عندهم منه إلّا اسمه، ولا يعرفون إلّا خطّه وزبره، ومن قبل ما مثّلوا بالصّالحين كلّ مثلةٍ، وسمّوا صدقهم على الله فريةً، وجعلوا في الـحسنة العقوبة السّيّئة» [الخطبة: ١٤٧].

وقال عليه السلام: **«يأتي على الناس زمانٌ لا يقرّب فيه إلّا الـماحل، ولا يظرّف فيه إلّا الفاجر، ولا يضعّف فيه إلّا الـمنصف، يعدّون الصّدقة فيه غرماً، وصلة الرّحم منّاً، والعبادة استطالةً على النّاس! فعند ذلك**

يكون السّلطان بمشورة الإماء، وإمارة الصّبيان، وتدبير الـخصيان» [قصار الحكم: ٩٦].

وقال عليه السلام: «**يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن إلّا رسمه، ومن الإسلام إلّا اسمه، مساجدهم يومئذٍ عامرةٌ من البنى، خرابٌ من الـهدى، سكّانها وعمّارها شرّ أهل الأرض، منهم تخرج الفتنة، وإليهم تأوي الـخطيئة، يردّون من شذّ عنها فيها، ويسوقون من تأخّر عنها إليها، يقول الله تعالى: فبي حلفت لأبعثنّ على أولئك فتنةً أترك الـحليم فيها حيران، وقد فعل، ونحن نستقيل الله عثرة الغفلة»** [قصار الحكم: ٣٦١].

ومنها الافتتان بسلاطين الجور، قال عليه السلام: «**انّ شرّ الناس عند الله إمام جائر ضَلَّ وضُلَّ به، فأمات سنة مأخوذة، وأحيى بدعة متروكة»** [الخطبة: ١٦٤].

وكما حذّر عليه السلام من فتنة بني أمية وقال عنها: «**ألا وانّ أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنّها فتنة عمياء مظلمة عمّت خُطتها، وخصّت بليتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها»** [الخطبة: ٩٢].

وقال عليه السلام عنها أيضاً: «**والله لا يزالون حتّى لا يدعوا لله محرّماً إلاّ استحلّوه، ولا عقداً إلاّ حلّوه، حتّى لا يبقى بيت مدرٍ ولا وبرٍ إلاّ دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم، وحتّى يقوم الباكيان يبكيان: باكٍ**

يبكي لدينه، وباكٍ يبكي لدنياه، وحتّى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيّده، إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه، وحتّى يكون أعظمكم فيها غناءً أحسنكم بالله ظنّاً، فإن أتاكم الله بعافيةٍ فاقبلوا، وإن ابتليتم فاصبروا، فإنّ العاقبة للمتّقين» [الخطبة: ٩٧].

وكما في معاوية الذي وصفه الإمام بقوله: «**ليس له بصرٌ يهديه، ولا قائدٌ يرشده، قد دعاه الـهوى فأجابه، وقاده الضّلال فاتّبعه، فهجر لاغطاً، وضلّ خابطاً**» [الكتاب: ٧]، وقد افتتن كثير من الناس ـ وإلى يومنا هذا ـ بمعاوية، وبحق قال له علي عليه السلام: «**وأرديت جيلاً من النّاس كثيراً، خدعتهم بغيّك، وألقيتهم في موج بحرك، تغشاهم الظّلمات وتتلاطم بهم الشّبهات، فجاروا عن وجهتهم، ونكصوا على أعقابهم، وتولّوا على أدبارهم، وعوّلوا على أحسابهم**» [الكتاب: ٣٢].

وأخيراً هناك من الفتن ـ لو صح التعبير ـ لقلنا أنّها فتن لابدّ منها أو أنّها من الفتن المستحسنة، فقد قال عليه السلام: «**لا يقولنّ أحدكم: اللهم إنّي أعوذ بك من الفتنة، لأنّه ليس أحدٌ إلّا وهو مشتملٌ على فتنةٍ، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلاّت الفتن، فإنّ الله سبحانه يقول: ﴿إِنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ومعنى ذلك أنّه سبحانه يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبيّن السّاخط لرزقه والرّاضي بقسمه، وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، ولكن لتظهر الأفعال الّتي بها يستحقّ الثّواب والعقاب، لأنّ بعضهم يحبّ الذّكور ويكره الإناث، وبعضهم يحبّ**

تثمير الـمال ويكره انثلام الـحال» [قصار الحكم: ٨٨].

ولما عزّى الأشعث بن قيس عن ابن له مات قال: «**ابنك سرّك وهو بلاءٌ وفتنةٌ، وحزنك وهو ثوابٌ ورحمةٌ**» [قصار الحكم: ٢٨٢].

موانع الافتتان

توجد موازين وموانع لعدم وقوع الإنسان في الفتنة بأنواعها المختلفة، نشير فيما يلي إلى أهمها كما ورد في نهج البلاغة:

أ ـ الاستعانة بالله تعالى، حيث قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «عباد الله انّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه، فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه» [الخطبة: ٨٦]، فمن زهر مصباح الهدى في قلبه كان في حرز وأمان من الفتن.

وفي كتابه عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: «**وأكثر الاستعانة بالله يكفك ما أهمّك، ويُعنك على ما ينزل بك إن شاء الله**» [الكتاب: ٣٤].

كما أوصى الإمام الحسن عليه السلام قائلاً: «**وألجئ نفسك في أمورك كلها إلى الهك، فإنّك تلجئها إلى كهف حريز ومانع عزيز**» [الكتاب: ٣١].

ب ـ الدعاء والاستعاذة، قال عليه السلام: «**لا يقولنّ أحدكم اللهم إنّي أعوذ بك من الفتنة، لأنّه ليس أحد إلّا وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلّات الفتن**» [قصار الحكم: ٨٨]، وكان من دعائه عليه السلام لما عزم على قتال أهل الشام: «**وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة، واعصمنا من الفتنة**» [الخطبة: ١٧١].

وكان يدعو عليه السلام ويقول: «**اللهم انّا نعوذ بك أن نذهب عن قولك، أو نفتتن عن دينك**» [الخطبة: ٢١٥].

ج ـ التمسك بالثقلين وهما القرآن والعترة، أما بالنسبة إلى القرآن فقد قال عليه السلام عند ذكر وفاة النبي صلى الله عليه وآله: «**وخلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح، ولا علم قائم، كتاب ربكم...**» [الخطبة: ١]، وقال عليه السلام: «**كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به**» [الخطبة: ١٣٣]، وقال عليه السلام: «**وعليكم بكتاب الله، فإنّه الحبل المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، والري الناقع، والعصمة للمتمسك، والنجاة للمتعلّق**» [الخطبة:١٥٦].

وقال عليه السلام: «**انّ الله سبحانه أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشر، فخذوا نهج الخير تهتدوا واصدفوا عن سمت الشرّ تقصدوا**» [الخطبة: ١٦٧].

أما بالنسبة إلى العترة فهي ترجمان القرآن، وبهما معاً يعتصم الإنسان من الوقوع في الفتن، قال عليه السلام: «**وهذا القرآن إنّما هو خط مستور بين الدفتين، لا ينطق بلسان، ولابدّ له من ترجمان، وإنّما ينطق عنه الرجال**» [الخطبة: ١٢٥]، وقال عليه السلام: «**ذلكم القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه...**» [الخطبة: ١٥٨].

وقال عليه السلام في أهل البيت: «**هم موضع سرّه، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه بهم أقام انحناء ظهره،**

وارتعاد فرائصه... هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي» [الخطبة: ٢]، وقال عليه السلام: «**بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنمتم العلياء**» [الخطبة: ٤]، وقال عليه السلام: «**فأين يُتاه بكم بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم، وهم أزمّة الحق، وألسنة الصدق**» [الخطبة: ٨٦]، وقال عليه السلام: «**أنظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا**» [الخطبة: ٩٦]، وقال عليه السلام: «**بهم عاد الحق في نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته**» [الخطبة: ٢٣٧].

ثم قبل هذا كله فوجود الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كان خير رادع لكثير من الفتن، كما قال عليه السلام: «**لما أنزل الله سبحانه قوله: ﴿الم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ علمت انّ الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا، فقلت: يا رسول الله ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها؟ فقال: يا عليّ انّ أمّتي سيفتنون بعدي**» [الخطبة: ١٥٦].

وكما قال عليه السلام أيضاً: «**وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن**» [الخطبة: ٧١].

د ـ الوجدان السليم والفطرة الإلهية والبصيرة، قال عليه السلام في كيفية خلق الإنسان وما أودعه الله تعالى فيه: «**ومعرفة يفرق بها بين الحق**

والباطل» [الخطبة: ١]، وقال عليه السلام: «**ثم منحه قلباً حافظاً، ولساناً لافظاً، وبصراً لاحظاً، ليفهم معتبراً، ويقصّر مزدجراً**» [الخطبة: ٨٢]، وقال عليه السلام: «**ولقد بُصّرتم إن أبصرتم، واسمعتم إن سمعتم، وهُديتم إن اهتديتم**» [الخطبة: ٢٠].

وقال عليه السلام: «**والناظر بالقلب، العامل بالبصر، يكون مبتدأ عمله أن يعلم أعمله عليه أم له، فإن كان له مضى فيه، وإن كان عليه وقف عنده، فإنّ العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلا يزيده بعده عن الطريق الواضح إلّا بعداً من حاجته، والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح، فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع**» [الخطبة: ١٥٤]، وقال عليه السلام بالنسبة إلى فتنة البغاة: «**ولا يحمل هذا العَلَم إلّا أهل البصر والصبر والعلم بمواضع الحق**» [الخطبة: ١٧٣].

هـ ـ التمسك بالحق، وذلك كما قال عليه السلام للحارث بن حوط لما اشتبه عليه الأمر في أمر البغاة، فجاء إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وقال له: أتراني أظنّ أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟ فقال عليه السلام: «**يا حار انّك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت، انّك لم تعرف الحق فتعرف من أباه، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه**» [قصار الحكم: ٢٥٣].

ولأهمية التمسك بالحق، أمر عليه السلام أهل مصر لما أرسل مالك الأشتر والياً عليهم، مع ما كانت له من مكانة مرموقة عند عليّ عليه السلام، فأمرهم الإمام بقوله: «**فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق**»

[الكتاب: ٣٩]، فقيّد عليه السلام الطاعة بمتابعة الحق.

و ـ التقوى، قال عليه السلام: «**فاتقوا الله تقية ذي لبّ شغل التفكر قلبه... ولم تعم عليه مشتبهات الأمور**» [الخطبة: ٨٢].

وقال عليه السلام: «**واعلموا انّ من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن، ونوراً من الظلم**» [الخطبة: ١٨٣]، وقال عليه السلام: «**فإنّ تقوى الله مفتاح سداد... ونجاة من كل هلكة، بها ينجح الطالب، وينجو الهارب، وتنال الرغائب**» [الخطبة: ٢٢٩].

ز ـ الاعتزال، قال عليه السلام: «**كن في الفتنة كابن اللبون، لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب**» [قصار الحكم: ١].

طبعاً اعتزال الفتنة يستحسن فيما إذا لم يكن للإنسان طريق هداية من إمام قائم معصوم، أو الذي ينوب عنه نيابة عامة، ففي هذه الحالة لا يجوز الاعتزال بل لابدّ من الالتحاق والاستماع، ومكافحة الفتن، ولزوم الجماعة الصالحة، كما قال عليه السلام: «**فلا تكونوا أنصاب الفتن وأعلام البدع، والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة، وبنيت عليه أركان الطاعة**» [الخطبة: ١٥١]، وقال عليه السلام: «**فاستمعوا من ربانيكم، وأحضروه قلوبكم واستيقظوا إن هتف بكم**» [الخطبة: ١٠٧].

كما عاب عليه السلام فعل أبي موسى الأشعري حيث كان من المثبطين عن أميرالمؤمنين عليه السلام أيام فتنة البغاة، فأشار عليه السلام إلى كلامه قائلاً:

«**وإنّما عهدكم بعبدالله بن قيس بالأمس يقول: إنّها فتنة فقطعوا أوتاركم وشيموا سيوفكم، فإن كان صادقاً فقد أخطأ بمسيره غير مستكره، وإن كان كاذباً فقد لزمته التهمة**» [الخطبة: ٢٣٦].

ح ـ **مكافحة الفتنة**، وذلك كما قلنا عند وجود البراهين والحجج حيث لا يجوز الاعتزال بل يلزم الصمود والاقدام بأيّ شكل كان، سواء باللسان أو باليد، وذلك كما كتب عليه السلام إلى أهل الكوفة يدعوهم إلى معونته ضد البغاة: «**واعلموا انّ دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها، وجاشت جيش المرجل، وقامت الفتنة على القطب، فأسرعوا إلى أميركم، وبادروا جهاد عدوّكم**» [الكتاب: ١].

أما عند عدم وجود ذلك، فلابدّ أن لا يترك الإنسان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحال، كما قال عليه السلام: «**ظهر الفساد فلا منكر مغيّر، ولا زاجر مزدجر...**» [الخطبة: ١٢٩]، وقال عليه السلام: «**لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّى عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم**» [الكتاب: ٤٧]، وقال عليه السلام: «**وما أعمال البرّ كلّها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلّا كنفثة في بحر لجّي**» [قصار الحكم: ٣٦٤].

-٧-

حكم المفتتن

يختلف حكم المفتتن بحسب نوع الفتنة، هل هي شخصية أم اجتماعية، هل في زمن حضور المعصوم أو في غيبته، حيث انّ لكل منها حكماً خاصاً، فحكم المفتتن بالدنيا يختلف عن الذي شهر السيف بوجه الأمة وقاتل الأئمّة المعصومين، حيث انّ حكمه البغي والباغي إن لم يتب ولم يرجع يحارب ويقاتل، كما هو نصّ قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الحجرات: ٩].

وقد قال أميرالمؤمنين عليه السلام فيهم: «**مالي ولقريش، والله لقد قاتلتهم كافرين ولاقاتلنّهم مفتونين**» [الخطبة: ٣٣].

وقال عليه السلام: «**فإن أبوا أعطيتهم حدّ السيف، وكفى به شافياً من الباطل، وناصراً للحق**» [الخطبة: ٢٢]، وكتب عليه السلام في جواب عقيل: «**أما ما سألت عنه من رأيي في القتال، فإنّ رأيي قتال المحلّين حتى ألقى الله**» [الكتاب: ٣٦].

وأخيراً قال عليه السلام: «**أما بعد أيّها الناس فأنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجترئ عليها أحد غيري بعد أن ماج غيهبها واشتدّ كلبها**» [الخطبة: ٩٢].

أما الفتنة الدنيوية للفرد فحكمها لا يعدو النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للمفتن أو إهماله كما قال عليه السلام: «**ما كل مفتون يعاتب**» [قصار الحكم: ١١].

ولما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله علياً بافتتان الناس بالدنيا بقوله: «يا علي انّ القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنّون بدينهم على ربهم، ويتمنّون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلّون حرامه بالشبهات الكاذبة، والأهواء الساهية، فيستحلّون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع» وهنا سأله علي عليه السلام قائلاً: «**قلت: يا رسول الله فبأيّ المنازل أنزلهم عند ذلك، أبمنزلة ردّة أم بمنزلة فتنة؟ فقال: بمنزلة فتنة**» [الخطبة: ١٥٦].

أما إذا كان في الفتنة نوع تعدّ على الآخرين، فلها حكمها الشرعي والقانوني الخاص بكل مورد، ولا يسع المقام للتفصيل.

***

هذا آخر ما عثرنا عليه ممّا يخص الفتنة في كتاب نهج البلاغة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

محتويات الكتاب

تمهيد ٥

التوجس والخوف من الفتنة ٧

أسباب الفتن ٩

صفة الفتنة ١٤

معطيات الفتنة ١٥

أنواع الفتن ١٩

موانع الافتتان ٣١

حكم المفتتن ٣٧